مؤسسة صرح الخلافة

تقدم

تفريغًا لمحاضرة:

معركة جاجي

الجزء الثاني

لشيخ المجاهدين أسامة بن محمد بن لادن

تقبله الله تعالى

ساعة وعشر دقائق

قبل الحرب الصليبية على أفغانستان

1447هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة صرح الخلافة



تقدم

تفريغًا لمحاضرة

معركة جاجي (الجزء الثاني)

لشيخ المجاهدين

أسامة بن محمد بن لادن -تقبله الله تعالى-

والتي ألقاها قبل الحرب الصليبية على أفغانستان

١٤٤٧هـ

الحمد لله الذي جعل العزة لمن آمن به وجاهد الكفار، وجعل على من قعد وعصاه الذلة والصغار، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار، أما بعد؛

نتحدث كما طلب الإخوة عن معركة جاجي في أفغانستان.

تلك المعركة العظيمة التي حسمت فيها تلك الحرب الطويلة بين أهل الإسلام في أفغانستان وبين الاتحاد السوفييتي، فلله الفضل والمنة.

استجبت لهذا الطلب لأمور كثيرة، كان من أهمها الحديث عن هذه المعركة العظيمة والتي كان فيها النصر في الوقت الذي نعيشه من أجل أن نُعيد لأبناء الأمة الثقة بأنفسهم، ومن أجل رفع معنويات المسلمين في وقت انتفش فيه الباطل، وعربد اليهود في فلسطين الجريحة، وعربد النصارى في غيرها من بلاد الإسلام.

نتحدث عن هذه المعركة وعن الانتصارات العظيمة لإزالة الوهن الذي غطى هم الرجال، ولكسر السلاسل، سلاسل الوهم التي قيدت الأحرار، نتيجة التواطؤ بين قوى الكفر والظلام، هو الكفر العالمي بإعلامهم وجيوشهم، ومن وافقهم من أنظمة المنطقة العربية والإسلامية، فسقوا وأرضعوا أبناء الأمة الخنوع والجبن والهوان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والأمر على خلاف ذلك، وفي هذه المعركة سيتبين لنا الأمر بإذن الله سبحانه وتعالى، أن الأمة قادرة اليوم على قتال اليهود، وعلى هزيمة اليهود وعلى إخراج اليهود من فلسطين بإذن الله.

وإن الأمة اليوم قادرة على قتال النصارى وعلى قتال رأس الصليب أمريكا، وإخراجها من بلاد الإسلام عامة، ومن جزيرة العرب خاصة بإذن الله سبحانه وتعالى.

ففي هذه المعركة التي انتصر فيها أهل الإسلام بفضل الله سبحانه وتعالى، وأصبح الاتحاد السوفييتي أثرًا بعد عين، دانت إسرائيل ودانت أمريكا وأوروبا، يخافون أشد

الخوف من هذا الاتحاد السوفييتي وترتعد فرائصهم من ذلك، فإذا به بفضل الله يصبح أثرًا بعد عين بقوة بسيطة وبعدد قليل وبعدة هيِّنة، بعدد قليل من الكلاشنات، وبعدد قليل من مدافع البازوكة وال(RPG)، وبعدد قليل من ألغام الدبابات، عدة لا تذكر بحال من الأحوال أمام تلك الجيوش العارمة التي من الله سبحانه وتعالى على المسلمين وهزمها ولله الفضل والمنة.

فما وقع في قلوب المسلمين اليوم هو مُجرد وهم، لا أساس له والله، وعندما سلب الإنجليز اليهود فلسطين، قبل بضع وخمسين سنة تظاهرت الدول العربية على أنها تريد أن تنقذ فلسطين، فتحركت الجيوش السبعة من الدول العربية، ولم يكن هناك قوة تُذكر لليهود، فلما بدأت الدائرة تدور على اليهود وتدور على إسرائيل في عام ١٩٤٨ للميلاد، صدرت الأوامر من حكام الدول العربية لقادة الجيوش بإيقاف الهجوم على إسرائيل وعلى اليهود، وظهر فيما بعد أن الأوامر على الحقيقة جاءت من واشنطن إلى حكام الدول العربية.

جاءت إلى "الملك" عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل.

وجاءت إلى جميع دول الطوق أن أوقفوا الهجوم.

ودخلوا فيما يُسمى بالهدنة المؤقتة، في عام ٤٨، فلم يحصل هناك قتال يذكر، وهذا السفيه شارون رئيس وزراء اليهود يتحدث اليوم في الإعلام، ويقول إن على الفلسطينيين والعرب أن يستجيبوا للأمر الواقع وأن يرجعوا إلى المفاوضات، وخاصة أنهم قد خسروا جميع الحروب التي خاضوها مع إسرائيل، كذب والله لم تكن هناك حروب تذكر، لم يُقاتل المسلمون كما أمرهم الله، وإنما كسب بعض الحروب نتيجة الخيانات العظمى التي كانت من ملوك ورؤساء الدول العربية.

وإلا؛ لا يمكن لقوة مهما كانت أن تقف أمام جحافل التوحيد، وأن تقف أمام الذين يحبون الموت أكثر مما يحبون الحياة.

فهذا الاتحاد السوفييتي قد ذهب وأصبح أثرًا بعد عين ولله الفضل والمنة، ثم بعد ذلك في عام ٤٩ ضغطت الولايات المتحدة الأمريكية على الدول العربية أن توفر هدنة دائمة، فبعد أن كانت هدنة مؤقتة أدخلوهم في هدنة دائمة.

فمكث اليهود من الهدنة الأولى في عام ٤٨ إلى ٦٨ يعدون العدة ويهيئون أبناء اليهود من جميع أنحاء الأرض إلى فلسطين المحتلة، وتدعمهم أوروبا وأميركا بالسلاح والعتاد والخبرات، وملوك العرب وحكامهم يشغلون الناس في المباريات وعلى كأس جلالة الملك كما يزعمون، وعلى كأس رئيس الدولة، وأشغلوا الناس وأضاعوهم عن قضاياهم الأساسية، فجاءت حرب ٦٧، فأكمل فيها اليهود ما تبقى من فلسطين، فأخذوها ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولم تكن هنالك حرب.

الذي يقول لكم إن هناك حربًا في عام ٤٨ أو ٦٧ يقصد حربًا باللغة المجازية، فلم يكن هناك حرب على الحقيقة تذكر، بقدر ما كان هنالك خيانات، وسُلم الجولان تسليمًا ولم يأخذه العدو بالقوة، سلمه حافظ الأسد لليهود لضبط أمره مقابل أن يولى على سوريا، كان وزيرًا للدفاع فقط.

أردت من هذا الكلام التأكيد على أن ما وقع في قلوب الرجال اليوم من أن إسرائيل أو أمريكا قوة عظيمة، هذا ليس صحيحًا، إن قوة المؤمنين بإيمانهم، وإن قوتهم باعتمادهم على ربهم سبحانه وتعالى، لا تقف أمامها لا دبابات ولا طائرات، ولا قنابل من أي نوع كانت إذا أعددنا العدة وأخذنا بما أمر الله سبحانه وتعالى واعتمدنا وتوكلنا عليه.

نتحدث عن هذه المعركة لأسباب كثيرة، هذا من أبرزها لإزالة الوهن ونفض الغبار عن قلوب الرجال.

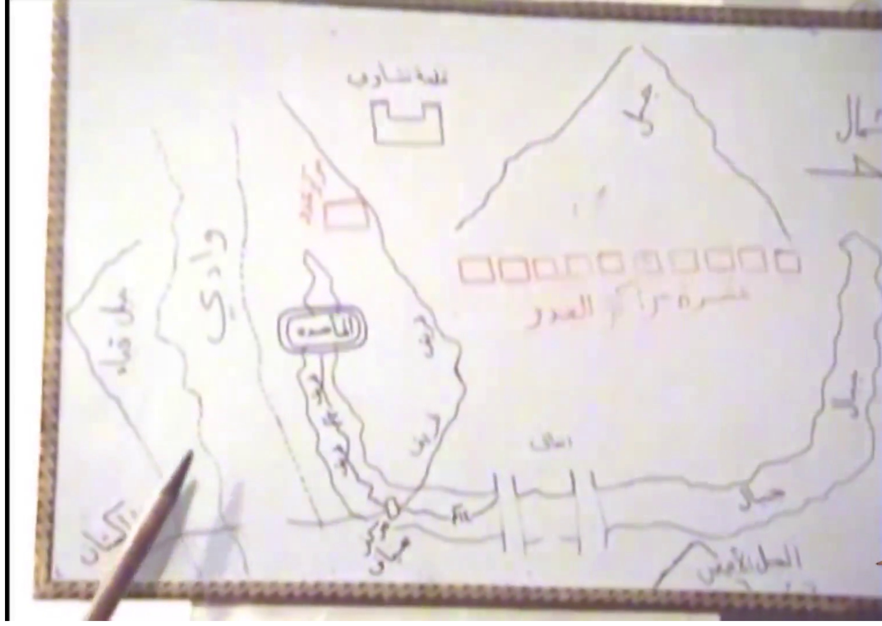
بدأت هذه المعركة في ٢٧ من رمضان المبارك، من عام ١٤٠٧ للهجرة، الموافق ١٩٨٧/٥ للميلاد أو ٦\١ أيضًا.

بدأت بتحدٍّ كبير، كما ذكرتم دائمًا أن وزير الدفاع طلب ميزات إضافية وتعهد ودخل في تحدٍّ مع رئيس الدولة في الاتحاد السوفييتي هو وكبار الضباط؛ أنه إذا وفرت لهم هذه الإمكانيات والميزانيات فإنهم قادرون على قطع طرق الإمداد من باكستان إلى أفغانستان، وكان الإمداد بفضل الله يأتي من باكستان عبر الحدود سواء بالنسبة للرجال المجاهدين الأفغان كانوا يرتاحون في باكستان ثم يأتون ليجاهدوا ويبذلوا مع إخوانهم، أو من شراء السلاح والعتاد والطعام والذخائر.

فتكفلت وزارة الدفاع الروسية بإغلاق جميع طرق الإمداد التي تدخل إلى أفغانستان، ومنها طريق بولدك في مدينة قندهار، وكان من أهم الطرق على الإطلاق طريق جاجي، من باراتشينار شمال باكستان إلى جاجي في أفغانستان في بَكْتِيَا، هذا الطريق يمر من خلاله أكثر من ٦٠% من المدد لجبهات الجهاد في الدار، وكان قد بلغ من الناس الإرهاق والتعب والقتلى والجرحى مبلغًا عظيمًا، فأرادوا أن يغلقوا الحدود لتستسلم الجبهات في الداخل، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يكون للمجاهدين العرب اليد الأولى الطولى في هذه المعركة، ولله الفضل والمنة.

ومن قرأ تاريخ هذه المعركة وقد سطره الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله، صدر فيه شهادات كبار قادة الأحزاب وكبار رموز الجهاد في ذلك الوقت، وقد شهدوا بأن الفضل بعد الله سبحانه وتعالى كان للإخوة العرب، حيث كانوا في موضع متقدم استفز العدو لكي يبدأ بهم، فدارت رحى الحرب لمدة ٢١ يومًا بلياليها على موقع الإخوة العرب الذي كان قد سمي بـ(مأسدة الأنصار)، هذه المعركة الضروس الشديدة دارت على هذا الممر الاستراتيجي، وعلى هذا المدخل الحيوي المهم.

فلو نظرنا إلى هذه اللوحة، تبين طبيعة المنطقة ومواقع المجاهدين ومواقع الكفار.



هذه أفغانستان وهذه جاجي مديرية في ولاية بَكْتِيَا وهذه الحدود مع باكستان وهذا هو الطريق الرئيسي الذي يدخل منه ٦٠٪ من العدد والعتاد والمؤن.

عندما دخلنا إلى هذه المنطقة، وجدنا المجاهدين في هذا المكان، والعدو في هذه القلعة وكان عدد من المراكب تحت هذا الجبل العالي، هذه القلعة مشهورة وتسمى بقلعة تشاوني، يبلغ طولها قريبًا من ألف متر وعرضها إلى نصف كيلو تقريبًا.

وللعدو هنا أيضًا مواقع فبحثنا في هذه المنطقة وهي منطقة كثيفة الأشجار، غابات وأشجار بالخشب مشهورة، وتقع على ارتفاع أكثر من ثلاثة آلاف متر، ميدان القتال كان على هذا الارتفاع.

والمنطقة في الشتاء يغطيها الثلج، ولا يمكن العيش فيها بغير أجهزة التدفئة المسماة بالبخار لمدة ستة أشهر، يعني ننصب البخاري لمدة ستة أشهر.



فوجدنا أن المجاهدين في هذا المكان والعدو هنا، فذهب الإخوة يستطلعون على هذه الجبال على بعد ٢ كيلومتر ٣٠٠ متر، وجدنا مراكز العدو وليس للمجاهدين هنا مواقع، فسألناهم عن سبب تخلفهم عن هذا الموقع، قالوا إن الوقت في الشتاء يكثر فيه الثلج وتنقطع الطرق، ومنَّ الله علينا وفتحنا لهم طريقًا، وفقنا الله سبحانه وتعالى وأحضرنا من أرض الحجاز عددًا من المعدات الثقيلة (البلدوزر وما شابه ذلك)، وفتحنا طريقًا واسعًا يوصل إلى هذه المنطقة.

وتم إعداد المكان على أساس أنه للمجاهدين، لأن عدد المجاهدين العرب ما كان يسمح بحال بفتح مركز لهم.

بدأ الجهاد عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) إلى عام ١٤٠٥ هـ، يعني بعد بضع سنوات من الجهاد ثم الجلاد والله ما يأتي على المناطق التي فتحناها رجل واحد من بلاد العرب، الناس في غفلة عجيبة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فأنشأنا مواقع هنا تحت الأرض، مركزًا كاملًا للمجاهدين الأفغان، وكان في نيتنا آخر الأمر بعد إنشاء هذا المركز أن نطلب منهم موقعًا عندما تكون هناك عمليات أن نشارك معهم، وبقي دورنا في شق الطرق بالمعدات الثقيلة وبحفر الأنفاق في الجبال حتى يتحصن فيها المجاهدون.

فأحضرنا أيضًا أجهزة لحفر الأنفاق، أحد الإخوة الذي كان يعمل معنا في حفر الأنفاق في مكة وفي غيرها أيضًا تطوع للجهاد هنا ومن الله عليه وعملنا معه فحفرنا بعض الأنفاق وهي ما زالت إلى اليوم في بكتيا.

ولكن كانت المفاجأة بعد أن أعددنا المكان أن المجاهدين لا رغبة لهم في أن يكونوا في هذا الموقع المتقدم جدًّا، لأن المسافة هم هذا الموقع الذي أطلقنا عليه اسم المأسدة إلى مراكز المجاهدين هنا تقريبا ١٣ كيلو، ونحن هنا أيضًا حفرنا الأنفاق على بعد أيضًا ١٤ كيلو من موقع المأسدة.

سبب التسمية كان الشيخ عبد الله -عليه رحمة الله- كثير الزيارة لنا كثيرًا ما يقعد معنا لأيام بل لأسابيع في المأسدة.

فتشاورنا في اسم لهذا المكان فتذكرت أبياتًا للصحابي الجليل رضي الله عنه يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام ويمدح المدينة المنورة ويمدح المهاجرين والأنصار، فقال فيما قال:

مَنْ سَرَّه ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بعضُهُ *** بعضًا كمعمعةِ الأَبَاءِ الـمُحْرَقِ
فلْيأتِ مَأْسدَةً تُسَنُّ سُيُوفُها *** بينَ المذادِ وبين جزعِ الخَنْدقِ
في عُصْبَةٍ نَصَرَ [الإله نبيه بهم] *** [متى همت بقوم تصدق]
نَصِلُ السُّيوفَ إذا قَصُرْنَا بِخَطْوِنَا *** قُدُمًا ونُلحِقُها إذا لَمْ تَلْحَقِ

فأنشأنا هذا المكان، وعند الإنشاء بحثنا عن الرجال ليساعدونا في الحراسة أثناء ذهاب المعدات لتجهيز هذا الموقع وإنشاء الطرق به.

فلم يكن يومها إلا أسامة أزمراي -فرج الله عنه وهو الآن في سجون أمريكا- وأخونا شفيق إبراهيم المدني، كان هذان الشابان من طلاب الثانوية في المدينة المنورة، وكنا ثلاثة نسكن في المدينة المنورة، فانفرد أسامة ممن حيدره وأصوله من فرغانة من

بلاد البخاري رحمه الله من أوزبكستان، وأخونا شفيق إبراهيم خان من المدينة المنورة وابن المدينة المنورة ولكن هو من أرض السند أصلًا، والعبد الفقير.

فثلاثة، ماذا يمكن أن يفعل ثلاثة أمام لواء قوة من القوات الشيوعية المتمركزة في هذه المواقع وهذه القلعة، ولكن ذلك فضل الله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء، فلما عزمنا على الحركة، واشترينا خيمة خصوصًا لهذا الأمر، وجهاز التدفئة بخاري، جاءنا اثنان من الشباب العصر، ونحن نعد العدة لكي نتحرك غدًا صباحًا إلى الموقع، جاءنا أخ اسمه ذبيح من الطائف، وأخ اسمه أبو الذهب من مصر، ونحن في أمس الحاجة لرجل واحد، فجاء اثنان بفضل الله سبحانه وتعالى.

وبقيا في الخارج كانا يريدان أن يذهبان لقائد أفغاني في المنطقة، فقلت للإخوة: اعزموهم على شاهي، وأنا في نيتي أن أحدثهم أن يجلسوا معهم، فدخلوا وشربوا الشاي وبعدما صلينا العصر، فإذا بأبي الذهب يطلب أن يتكلم معي، فيقول لي: نحن صدرنا انشرح بالجلوس معكم، فإذا تأذنوا لنا، قلت له: حياكم الله وبياكم وأهلًا وسهلًا ومرحبًا.

فتأسست المأسدة وتأسس هذا المركز ابتداء بنية ثلاثة، وذلك فضل الله، ثم من الله علينا برجلين؛ أبي الذهب كان من خيرة الإخوة ويحفظ كثيرًا من كتاب الله سبحانه وتعالى، والأخ ذبيح وكان كذلك من خيرة الإخوة نسأل الله أن يتقبل منا ومنهم.

فهذا المركز الذي لم يكن على البال والخاطر، ولكن ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد، وإذا بنا نسعى لتأسيس مركز وموقع يكون له وعلى أرضه بعد فضل الله سبحانه وتعالى تدور عليه هذه المعركة العظيمة وهذه الملحمة البطولية الكبرى التي حسمت القتال لصالح أهل الإسلام لله الحمد والمنة.

فأقول أنتم اليوم تعيشون أحداثًا عظيمة، وتشاركون في كتابة تاريخ الأمة، لانتشالها من سفح الهوان ومن سفح المذلة إلى الذرى الشاهقة ذرى عزة الإيمان وذرى نشر التوحيد بإذن الله سبحانه وتعالى.

لو تدبرتم لعلمتم أننا نعيش حالة مخاض للأمة ستلد بإذن الله سبحانه وتعالى أمورًا عظامًا لصالح أمة الإسلام في القريب العاجل بإذن الله سبحانه وتعالى، فالسعيد من أدرك القافلة قبل الفتح.

قال سبحانه وتعالى: {لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ} [الحديد: ١٠]، الذين أنفقوا وقاتلوا من قبل الفتح هؤلاء أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا.

فتكونت المأسدة بخمسة رجال بفضل الله سبحانه وتعالى، وكان الواحد منا يخشى أن تتخطفه الطير لوعورة المنطقة وكثافة أشجارها وقربها من العدو، كنا نرى ونسمع أصوات دبابات العدو ونرى دبابات العدو بل أرقام الدبابات بالعين المجردة.

وكان الأمر بالنسبة لنا ما زال جديدًا، ولم تمعمعنا الأحداث بعد، فالإخوة الذين معي طلاب ثانويات، ولكن آتاهم الله سبحانه وتعالى فضلًا عظيمًا، وكان ذلك النصر بفضل الله ثم على أيديهم وأيدي الإخوة.



فهذا الجبل وهذا العدو وهذه سلسلة جبال على شكل هلال، وبين طرفيها أكثر من خمسة كيلومترات ونحن هنا وتمركزنا في هذه المنطقة.

قامت المعركة في السابع عشر من شعبان، وبالمناسبة هذا المركز كما هو أول مركز للمجاهدين العرب في الداخل، ولأول مرة تقوم معركة بين المجاهدين العرب بتعاون مع بعض إخواننا الأفغان، وبين العدو في السابع عشر من شعبان.

هذا حديث آخر أردنا أن نركز على المعركة الفاصلة بين قوى الإسلام وقوى الكفر.

فأخذنا خبرة جيدة من المعركة في شعبان وبدأنا نعد لمعركة بعد منتصف رمضان، ورتبنا مع جميع الأحزاب المجاورة، "الشيخ" سياف و"الشيخ" حكمتيار ورباني مع القادة الميدانيين مع القادة الأخرى، لكي نقود معركة لاقتحام هذه المواقع وتحريرها من الشيوعيين، وكنا نعد لمعركة على قدر لواء من قوات العدو، يصل تعدادهم إلى ألف رجل تقريبًا.

وكان العدو يعد لمعركة حاسمة لتطرد المجاهدين وتقفل الحدود وما كنا نعلم بوقتها وحجم المؤامرة وحجم التحدي، ففي الخامس عشر من رمضان الموافق ٢٠\٥ أو قبل ذلك بقليل عام ١٩٨٧ م، جاء الطيران النفاث فينسر وسوخوي وطاروا فوق مواقع المجاهدين من العرب والأفغان.

فرد عليهم المجاهدون بمضادات الطائرات (الزيكوياك والدوشكا) وذهبت هذه الطائرات، ثم لما اكتملت الحلقات اتضحت لنا الصورة، كان الغرض من مجيء هذه الطائرات في ذلك الوقت هو الاستفزاز لطاقات المجاهدين، حتى تطلق عليهم ويصوروا المواقع.

تعرفون الأسلحة الثقيلة يخرج منها لهب ونار فيصوروا جميع المواقع، حتى لما تبدأ المعركة يدكوا جميع هذه المواقع، وذهبت الطائرات، هذا كان في ١٥ من رمضان.

في ٢٣ رمضان، جاءت طائرتان عموديتان وعلى ارتفاع منخفض جدًّا، وتفاجأ بها الجميع العرب والأفغان.



وكان في هذا الجبل، هذا الجبل أعلى من المأسدة، جبل المأسدة كنا نسميه جبل قباء أعلى قليلًا بأربعمئة متر أو خمسمئة متر كان لنا على رأس الجبل سبعة من الإخوة، مهمتهم كجبل الرماة حماية الجبل من أن تأتي إليه القوات حتى لا تصعد وتدخل منطقة المأسدة.

وبينما نحن في الموقع وإذ بطائرتين تأتيان على مستوى منخفض جدًّا، ما انتبهنا وإلا قد فاجأونا، فأسلحة الزيكوياك [مضاد طائرات] غير مهيأة في تصميمها أن يضرب أهداف تحت زاوية صفر، فهي كانت تحت هذا المستوى.

وكنا في جولة تفقدية في منطقة متقدمة من المأسدة تفاجأنا ولكن كنا ثلاثة وكان معنا (RPG) ولكن اجتهدنا أن الأخ يبقى مستعدًّا لضرب الطائرة فيما لو أرادت أن تهاجم، فإصابة (RPG) للرمي بسرعة الطائرة ليس أمرًا سهلًا.

فرأينا لو ضربنا وما أصبناها ممكن أن تلتف علينا وتضربنا، فآثرنا الاحتياط، حتى لا تنتبه إلينا.

فكان الغرض من هذه الزيارة التي فهمنا بعد ذلك هي المتابعة للمواقع عن قرب شديد وبالنظر المباشر ليس فقط في الصور الفوتوغرافية.

ثم بعد ذلك جاءت الأخبار أن هناك فرقتين عسكريتين من القوات الشيوعية تحركت باتجاه المنطقة، فأصلًا كان تحت لواء، واتجهت فرقتان يعني قريبًا من ٨-٩ آلاف جندي من الفرق الروسية والشيوعية لم تكن مكتملة، في الأصل كل فرقة من ١٠ إلى ١٢ ألفًا، لكن الفِرق ما بين إصابات وقتلى وفرار كانت من ٤ إلى ٥ آلاف.

فجاؤوا وبدأنا نستعد للمواجهة، فوصلت هذه القوات إلى منطقة اسمها النهرين وتجمعت وانطلقت ودخل بعضها إلى القلعة.

ففي يوم ٢٧ رمضان، كانوا قد نصبوا راجمات الصواريخ -ننظرها بالمناظير- بشكل رهيب، بل بعضها يضرب من مسافة مناسبة، وجهوا إحدى هذه الراجمات علينا، كلها موجهة، بس التي قصفت في ذلك اليوم واحدة.

وكان لنا هنا موقع اسمه (حنين) داخل المأسدة، أكثر أهله كان من أبناء الطائف، فجاءت هذه الصواريخ وضربت جبل قباء خلفنا، فالإخوة متحمسون للقتال والجهاد، وعدد الصواريخ يصل إلى ٤٠ صاروخًا دفعة واحدة، أصاب الناس رهبًا شديدًا جدًّا من قصف شديد جديد وصواريخ ضخمة جدًّا ورأوها معهم في الجبل خلفهم، فأصاب الناس هدوء وسكتوا واستغربوا من شدة هذه الصواريخ فكأنما غرقت أوصالهم.

والله يا إخوة ما مر على هذه الحادثة إلا قليل يعني دقائق مرت بعد هذا القصف الشديد والهول، ونحن كما تعلمون دخلنا الآن في شهر ٦ وشهر صيف، وإذا بسحابة سوداء تأتي في تلك السماء الصافية وتقف فوق المأسدة، وتبرق وترعد رعدًا والله من شدته نسينا صوت وضجيج الصواريخ الماضية، كان أشد منها بكثير جدًّا جدًّا وكانت على قلوب الإخوة سكينة وتثبيتًا وطمأنينة ثم أنزلت بردًا وفرح بها الإخوة وقاموا يأكلون وزال من قلوبهم ذلك الرهب الماضي.

فكان هذا من بداية الكرامات وهذه المعركة من أولها إلى آخرها مليئة بالكرامات سنتحدث عن بعضها في مواطنها إن شاء الله.

في اليوم ٢٨ من رمضان بدأت المعركة بقوة وغزارة غير عادية وغير مألوفة.

فبدأ القصف بالطيران وكانت تأتي أسراب خلف أسراب وتعد في أقل من دقيقتين أكثر من ٢٤ طائرة تمر على المأسدة وتلقي بحممها على ذلك المكان الضيق، المأسدة يا إخوة دون معسكركم، من هنا إلى نهاية القلعة هذه.

عرضها أقل من ٤٠٠ متر وطولها أقل من ٨٠٠ متر هذه هي المأسدة من أولها إلى آخرها، فماذا تظن أن يفعل فيها الدب الروسي بكل ما أوتي من قوة.

الذي يذهب اليوم إلى المأسدة، المأسدة ما بين كل حفرة من حفر الطائرات، بعض الحفر التي تتكون من أثر القذائف يا إخوان قطرها أكثر من ١٢ مترًا قطر الحفرة! ومن ذهب سيرى إلى اليوم ما بين الحفرة والحفرة أحيانا شبر، نخلوها نخلًا، فضلًا عن مدافع D.C، وفضلًا عن قذائف الهاون (G.R) وقنابل عنقودية و[...][١] فحدث ولا حرج يعني كانت كمن أصابه الجدري، مليئة بالغابات، كنا نتحدى بعضنا بعضًا أن يجد أحد منا شجرة ليس بها شظايا هذا مستحيل، جميع الشجر أصيب بالشظايا ولكن بفضل كنا أخذنا تكتيكًا وخندقنا تحت الأرض، جميع مواقع الإخوة تحت الأرض بفضل الله سبحانه وتعالى، وموهت تمويهًا جيدًا. ومع كثرة القصف بمدة ٢١ يوم اتصل ليلها بنهارها لم يصب بفضل الله سبحانه وتعالى لنا بقذائف الطائرات ولا موقع إلا موقعًا كنا قد أخليناه ببداية المعركة، ومع كثرة القصف قذيفة واحدة فقط أصابت أحد المراكز وكان سمك التراب فوق المركز ٤٠ سنتيمترًا تحته خشب، فالتراب هذا والخشب امتص الموجة، انكسر الخشب ونزل تراب، لكن الإخوة بالداخل سلموا بفضل الله.

استمر القتال في اليوم ٢٨ شديدًا جدًّا إلى العصر قصف وتمهيد غير عادي.

---

[١] نوع السلاح غير واضح.



ثم قدموا ٨ دبابات على هذا الطريق الذي يفصل إلى هذا الطريق، فعندما وصلوا إلى هذا المكان ضمن مدى نيراننا، تكلمت مع الإخوة أن يبدأوا باسم الله سلاحنا وعتادنا الذي بفضل الله تم به حسم المعركة، كان عبارة عن ثلاث هاونات (٨٢) ضد حلف وارسو وضد الاتحاد السوفييتي بفضل الله سبحانه وتعالى، ماذا تعني ثلاث هاونات (٨٢) لا شيء يا عباد الله.

وكان معنا راجمة واحدة ما يسمى هنا في لغة القوم BM Willys.

ومعنا في ذلك الوقت كحد أقصى كان معنا سيارتان اثنين ربع ومعنا شاحنة نقل عليها صواريخ هذا رأس مالنا ورأس مال المجاهدين معنا أربع ونيتات فوق الجبال، وهاوناتهم لا تصل أصلًا إلى هذا المكان.

فالمجاهدون كانوا في هذه المواقع، "الشيخ" سياف أرسل للمجاهدين معنا في الأمام ٢٠ مجاهدًا كان يقودهم قائد اسمه خورشاد، فمع القصف الثقيل كنا في بداية المعركة ٧٠ رجلًا من أصحاب بيعة العقبة رضي الله عنهم وأصحاب موسى عليه السلام.

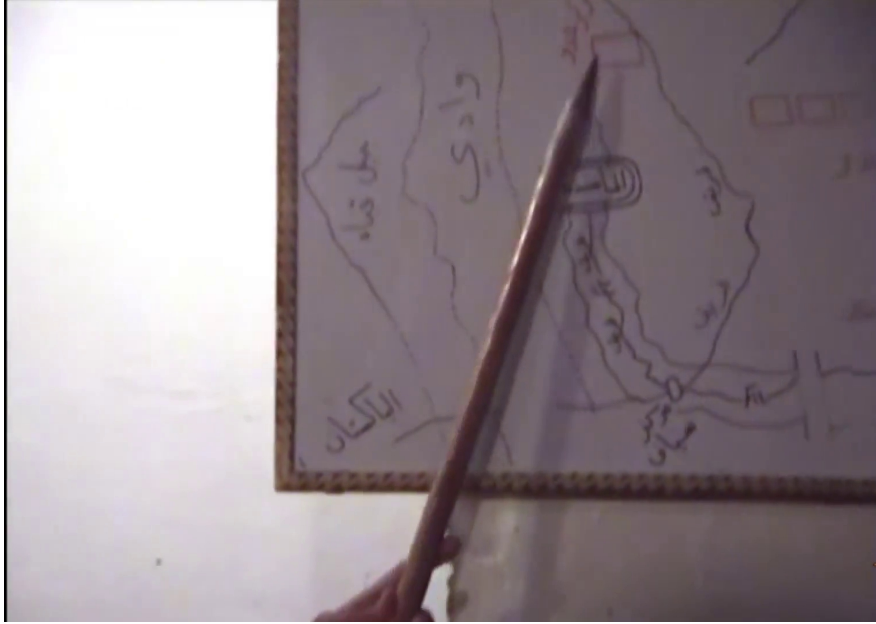
فقسمنا العدد إلى نصفين؛ ٣٥ قدمناهم إلى هذه الأنفاق، و٣٥ مكثنا بالمأسدة، وتتغير الأطقم كل ٢٤ ساعة، لأن المعركة متصلة الليل بالنهار ما تستطيع أن تتحمل

الإجهاد العصبي المستمر لا تنام لا في الليل ولا في النهار أمر فوق طاقة البشر، فكان من فضل الله أن قسمنا الجهود؛ فهم سبعون قسمناهم لنصف إلى خمسة وثلاثين.



فعندما وصل العدو إلى هذا المكان كانت تقريبا ٨ دبابات و١٢ ناقلة جنود، وهم ظنوا بعد التمهيد الكثيف بالطيران والمدافع أننا قد هربنا وتركنا المكان، وهم عندما وصلوا إلى هذا المكان قاومتهم بعض القوة من مجاهدين ولكن لم تكن متحصنة فلم تتحمل هذا القصف الشديد، فأخلوا مواقعهم فظنوا الأمر شبيهًا بما سبق، وقصفوا قصفًا ثقيلًا جدًّا ونحن ما نرد عليهم في شيء.

حتى دخلت آخر قطعة من قطعاتهم من سياراتهم ودباباتهم في مدى نيراننا، لأن مدى نيراننا محدود في الهاون كما تعلمون قذيفته مداها ٥ كيلومترات.



وكـان قـد رمى علينـا من هنـا، ونحن آخـذون إحـداثيات الطريـق، وكـانت الراجمة تقصف هنا، وكنت في ذلك الوقت أرصد حركة الدبابات والعربات وهي متقدمة، فلما دخلت في مدى نيراننا كبرت وقلت للإخوة ابدأوا باسم الله فبدأوا بالرمي وكان على الراجمة أخونا الشيخ أبو عبد الرحمن (BM) موجود في قندهار في هذا الوقت.

والله يا إخـوة يعـني تعلمـون أن الراجمة ليسـت سـلاحًا للتصـويب المباشـر، إنما هي للتمشـيط العـام، فكـانت تأتي القـذائف على الـدبابات وعلى ناقلات الجنـود بفضـل الله سبحانه وتعالى، وبعد هذه الإصابات الشديدة ونحن نبلغ من الفرح ما لا يعلم به إلا الله، جاءت سيارة كبيرة إسعاف عليها صليب جاءت تريد أن تأخذ بعض القتلى والجرحى وجاءت مسرعة جدًّا والإخوة يرمون بالهاونات والراجمة.

فجاءت قذيفة في الطريق أمام سيارة الإسعاف الكبيرة، فلما انفجرت أمامه بضعة أمتـار أوقـف السـيارة مباشـرة وأدار للخلـف وولّى هاربًا مسرعًا وتـرك القتلى والجرحى بفضل الله سبحانه وتعالى.

هذا أحدثكم ما رأيته بعيني بفضل الله سبحانه وتعالى، وكـان السرور والفرح يعني نشوة حدث عنها ولا حرج وشعرت يومها بشفاء الصدور بفضل الله سبحانه وتعالى

وهو شفاء لا تجده في غيرها من المناطق ولا تجده في غير قتل أعداء الإسلام الكفرة الذين كفروا بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

فاستمر الأمر هكذا من العصر إلى الغروب ونحن نواصل الضرب عليهم وعندنا جهاز تنصت يسمع ذبذبات، فكانوا يشتمون بعضهم أعني شتمًا شنيعًا جدًّا جدًّا بذيئًا جدًّا جدًّا.

الضباط يشتمون قادة الدبابات وقادة الفصائل إلى أن جاء الليل وغطاهم الليل ولكن استمروا في القصف لمنعنا من الراحة ومن النوم وكان يأتي الطيران ويرمي قنابل مضيئة ثم يأتي طيران آخر ويقصف مواقعنا.

مضى هكذا اليوم الثامن والعشرين، وفي ٢٩ من رمضان استمر التمشيط وشعروا أن المقاومة قوية ولا بد أن يمشطوا كثيرًا، فاستمر التمشيط بالقذائف في ٢٩ وكذلك في يوم ٣٠.

قوى غير عادية، فهذه ثلاث ليال والكل في المأسدة، أصاب الإخوة الذين بقوا إرهاق غير عادي، فصلينا الفجر وكنا مفطرين كما في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام: "إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ"[٢]. فأفطرنا يوم ٢٧-٢٨-٢٩-٣٠، كل المأسدة كانت مفطرة وهذه سنة النبي عليه الصلاة والسلام قبل فتح مكة أمر الصحابة بالإفطار في سفرهم إلى فتح مكة.

فاليوم الثلاثون كنا نتوقع قصفًا أكثر مما سبق، وخرجنا من مركز القيادة في وسط المأسدة مكان معين تحت الأرض وذهبنا إلى كهف صغير عمقه لا يتجاوز ٦ أمتار من أول المأسدة واتجهنا اتجاه العدو في هذا المكان وكان معي ٩ من الإخوة، منهم أخونا خالد كردي أبناء المدينة المنورة ومنهم أخونا فضل من أبناء حائل ويسكن الشرقية ومنهم أخونا ذبيح الطائفي ومنهم أخونا أبو الفضل المصري من خيرة إخواننا من حفظة كتاب الله سبحانه وتعالى ومنهم أخونا أبو حنفية ونش من مصر أيضًا ومنهم أيضًا أخونا

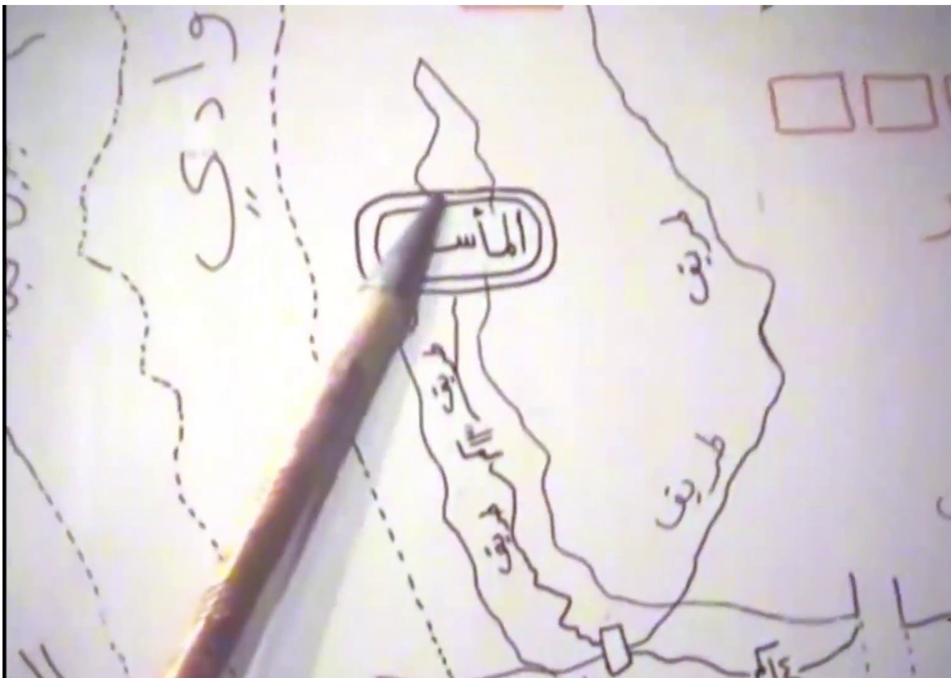
[٢] رواه مسلم.

يمكن كان أبو سهل فيوم موجودًا وأخ آخر من الشرقية أبو عزام، فكنا عشرة، فبعد نحن ذهبنا هناك وقطعت شجرتين وضعتهم على فتحة كهفنا، أجيد الترتيب جيدًا بفضل الله سبحانه وتعالى، وضعت الشجرتين وتركت الإخوة يساعدونني وحملناها ووضعناها على فتحة الكهف، فتحة الكهف فتحة سوداء لا يراها الطيران.

فالأخ الكردي من شدة الإرهاق دخل بداخل الكهف ونام ولا يشعر بشيء وما كدنا أن نضع الشجر على فوهة الكهف وما زالت الشمس لم ترتفع ولا نراها وإذ بالطيران يحوم فوق المأسدة، وبدأ ينعكس على لون الطيران الفضي أشعة الشمس الذهبية، يحومون وبدأوا يقصفون قصفًا هائلًا فظيعًا.

كان حجم القذيفة يصل إلى ٢٠٠٠ رطل يعني قريبًا من طن، وكان بفضل الله ينزل بعضها لأسفل الوادي لكن من شدة أثرها ونحن في أعلى الجبل كأنما يرمى علينا بالمعاول داخل الكهف، يرمى التراب إلى داخل الكهف من شدتها ويهتز الجبل.

واستمر هذا القصف الذي هو نتيجة التحدي بين وزارة الدفاع والقوى الروسية ونحن نذكر الله بفضل الله سبحانه وتعالى نسأله أن يكفينا شرهم بما شاء، وبينما نحن كذلك هذا في يوم ٣٠ رمضان وقد أصابنا الإرهاق والإعياء من الأيام الماضية وإذ بأحد الإخوة الذين في مراكز الرصد.



كان عندنا ثلاثة مراكز للرصد؛ المأسدة فيها مركزان للرصد؛ مركز بالميمنة ومركز هنا يشرف على الطريق، ومركز في الميسرة، وعندنا مركز ثالث فوق جبل قباء، فالرصد هو سمعك وبصرك لا بد منه أكثر من واحد، فإذا ضرب مركز، الثاني يكفي لك الأمر.

فمع هذا القصف الشديد بالطيران والأسلحة الثقيلة إذ بأحد الإخوة الراصدين اسمه أحمد، من هذا المركز رأى تحت هذا الشغل الشاغل مئتي جندي روسي من الكوماندوز يتقدمون إلى المأسدة في محاولة اقتحامها.



عبروا من هذا المكان يريدون أن يقعوا من المأسدة على هذا الجبل وسط الغابات، ويلبسونها بلباس ما هذا اللباس الذي يلبسونه مبرقع مموه، وكانوا يتحركون كل ١١ عنصرًا مع بعضهم مجموعات، كل مجموعة ١١ عنصرًا.

وكان بيننا اتفاق إذا حصل اقتحام -كنا نتوقع أن يحصل اقتحام في المأسدة- فكان بيننا اتفاق إذا حصل اقتحام أحد الإخوة يذيع معلومة إذا سلاح الزيكوياك أطلق ثلاث صاديات، فهذا عبارة عن نذير أن المأسدة تتعرض للاقتحام ومن جرب القتال في الجبال وفي الغابات يعلم أن الكثير في الجبال والغابات قليل ويعلم أن القليل ضائع، فهذه

الغابات الكثيفة تحتاج إلى مئات الرجال لفهم ما يحدث بينما كان عددنا في ذلك اليوم كما ذكرت تقريبا كنا أربعين، وكان إخواننا الأفغان اثني عشر أو عشرين.

فعندما سمعت الخبر بفضل الله سبحانه وتعالى قلت للإخوة نتحرك مباشرة للقاء العدو، فتقدم خالد كردي، وتحركنا من المأسدة بهذا الاتجاه والعدو بهذا الاتجاه؛ فنحن عشرة طلاب الثانويات وهم كم؟ مئتان من القوات الخاصة، وكانت روسيا تفاخر بهذه القوى كما تفاخر أمريكا بقوات المارينز.

فذهبنا إليهم، عندنا موقع متقدم وكمنًّا لهم وانتظرنا في الموقع مدة وهم يصعدون إليه لكن كنا نخشى من الالتفاف من الخلف، فلما خرجنا من موقعنا هذا إلى الموقع المتقدم كلما أمشي قليلًا أجد شِعبًا يمكن أن يلتف منه العدو، فالقوى التي نضعها لنرصد الالتفافة رجلًا واحدًا، قلت لذبيح أنت خليك على هذا الشعب لا يلتف علينا العدو من الخلف، مشينا قليلًا، قلت لأبي الفضل -عليه رحمة الله- أنت في هذا الشعب، مشينا قليلًا قلت لأبي حنفية (ونش) أنت في هذا الشعب.

ما تستطيع أن ترى المسافة بعيدة فبضعة أمتار وتنقطع الرؤيا، فوصلنا إلى الموقع الذي نريد أن نقابل فيه العدو ثلاثة، العبد الفقير وخضر من الشرقية ومختار أيضًا من الشرقية، فأيضًا الثلاثة وزعناهم مرة أخرى ففي صخرة هكذا مكثت عليها وقلنا للخضر ينزل تحت الصخرة بين الأشجار ويترقبهم، لم أعد أرى أي أحد من الإخوة إلا مختار بيني وبين خضر يتحرك.

فبينما نحن كذلك وإذ بمختار يقول إن الكوماندوز الآن أمامنا ويتكلمون مع بعضهم ما بين الإشارة والتصفير مثل أصوات الطيور، فأخرجنا القنابل اليدوية وأخذنا الاستعداد للانقضاض عليهم.

بينما نحن كذلك إذ جاء أخونا أبو عبيدة البنشيري من خيرة إخواننا نسأل الله أن يتقبله شهيدًا، وهو كان نائب العمل ككل، وهو كان القائد العسكري لتنظيم القاعدة.

فجاء أبو عبيدة وجاء أخونا ذبيح يرسله إلى مكاننا، فجاء في ذلك الوقت، فأنا أقول له أنهم اقعدوا هناك، أتكلم معه بصوت خافت جدًّا.

فمن أهمية اللباس المموه أننا هنا لا نراهم ونحن ما كنا نلبس مموه، أبو عبيدة -عليه رحمة الله- كان يلبس بدلة زرقاء، فرأونا هكذا.

فإذا بواحد من هؤلاء الروس يرمي علينا بالكلاكوف وجاءت الطلقة بيني وبين أبي عبيدة تصطدم بالخلف وترجع وتشخط أبا عبيدة، فعند ذلك علمنا بعلمهم بنا وهم علموا بتمهيدنا لهم، فنحن ننتظر أن يتقدموا حتى نرمي عليهم ولا صوت طلقات، وفجأة تنهمر علينا قذائف تهمي كالمطر.

كيف كانت الخطة؟ الذين تقدموا هؤلاء ضمن الفرق خمس كتائب روسية مهمتها تطهير المواقع -كما زعموا-، ففي كتائب ثابتة على مدافع الهاون تغطي مع هؤلاء، وهؤلاء لما شعروا أن هناك كمينًا متقدمًا، تراجعوا إلى الخلف قليلًا وأعطوا إشعارًا لكتائب الهاون داخل المدفعية أن تغطي هذا الموقع، فبدأ قصف لا يوصف، والله ما ظن أحد من العشرة أو الأحد عشر أنه ينجو، ما ظن أحد أنه ينجو، لمدة ثلاثين دقيقة ما بين القذيفة والقذيفة ما تستطيع أن تقول أكثر من سبحان الله، قذائف بشكل غير عادي، لمدة ثلاثين دقيقة وبعد ثلاثين دقيقة جاءت سكتة لطيفة هكذا أقل من جزء من الدقيقة، فشعرنا بنفس وارتياح فأراد أبو عبيدة أن نتحرك الآن فقلت له: ننتظر قليلًا.

فعلًا ونحن ننتظر قليلًا ثواني وإذ أعادت الكرة من جديد المدافع.

فقلت له إذا جاءت سكتة أخرى بعد ذلك نتحرك، وملأ أنوفنا البارود والغبار، والشظايا تتطاير يمنة ويسرة، وإخواننا الذين في الخلف الشيخ عبد الله -عليه رحمه الله- يسمع كلامنا بالجهاز اللاسلكي، وكان يبكي هو والإخوة ويدعون الله سبحانه وتعالى بأن يحفظنا، ما ظن أحد ممن كان يرى القصف المؤكد على هذه البقعة الصغيرة أن أحدًا منا ينجو ولا نحن كنا نظن ذلك.

فبعد ذلك جاءت سكتة صغيرة، فقلت: نتحرك فخرجنا نركض ما ابتعدنا خمسين مترًا ركضًا إلا وبدأت القذائف تنهال من جديد.

أخونا خضر في هذه الأثناء كان هو على صخرة أخرى قريبة وقع في نفسه أننا متنا جميعًا وهو الوحيد الذي بقي، وأمامه كتائب الكوماندوز، فقال الآن لو يقتلونني سهل، لكن سيأسرونني، وجاءته أوهام كثيرة وأصابه اهتزاز في مكانه وأخذ يدعو الله سبحانه وتعالى ويكثر من الأذكار كثيرًا، والكبد في مثل هذه الحالات يضخ كمية كبيرة من السكريات فتخرج الأطراف عن ميزانها تهتز؛ ما كان يستطيع أن يحمل (RPG) ولا القذائف من شدة هول الموقف.

وعندما خرجت شد بأعلى صوته أحد الإخوة بأن انحازوا، فما كان يصل الكلام إلى مسمعه حتى دبت فيه بفضل الله سبحانه وتعالى الطمأنينة من جديد وشعر أن إخوانه ما زالوا أحياء وبدأنا نركض وننحني ثم ننهض ونركض حتى ابتعدنا عن مكان الخطر، واستمر العدو يمشط من جديد وبقوة غير عادية بجميع الأسلحة بما فيها الطيران، ورجعنا إلى الكهف الذي انطلقنا منه هنا.

في هذه الأثناء وصل مدد من المجاهدين الأفغان، وصل عشرون رجلًا من "الشيخ" سياف وعشرون رجلًا من "الشيخ" حكمتيار، ولكن لا نعرفهم ولا يعرفوننا ليس بيننا وبينهم فك وربط، كان تمشيطًا شديدًا، فقلنا لهم تعالوا معنا إلى الكهف ونرجع إلى الوراء قليلًا فيرفضون ما يستجيبون فنحن دخلنا الكهف.

وبينما هم كذلك أبقينا فقط اثنين من الإخوة من أجل الحراسة، وإذ وصل العدو على التبة التي أخليناها تبة القيادة.

فما كاد أن يصل وإذا المجاهدون كل ما معهم من قذائف (RPG) أطلقوها جميعًا كل دقائق قذيفة على الجبل، وجاؤوا يأخذون يريدون أن يأخذوا أيضًا قذائفنا فأبينا نحن أن نعطيهم.

فالمجموعة التي في الأمام قتلوا والذين في الخلف رجعوا إلى الخلف فسلموا، فحاول معهم أبو عبيدة أن يتحركوا فأبوا، فعند ذلك جاءت قذيفة هاون على وسطهم فقتل منهم خمسة -عليهم رحمة الله- واشتغل الباقون بحملهم، فالمدد الذي جاء ما لبث أن رجع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

واستمر إصرار العدو على القصف الشديد والتمشيط الشديد والتقدم، ومن هول الموقف وشدة الرمي تظن أن العدو لا يستطيع أن يتقدم ولكن هذا التكتيك دقيق يعني صوت الهاون ضخم كما تعلمون فهو يمشط فإذا اقتربت القوات المتقدمة إلى منطقة قريبة من الهاونات يتصل بالقاعدة ويقول ارفعوا الضرب إلى الأمام زيادة ٢٠٠ مترًا، فهو يمشط ويتقدم بحيث الذي بالخنادق يبقى كامنًا بالخندق فما يستيقظ إلا وقد هجم عليه العدو في الخندق.

نحن نختم إن شاء الله هذا القدر إن أحيانا الله سبحانه وتعالى، إلى لقاء قادم ونكمل بإيجاز بحيث تتم الفائدة إن شاء الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد.

لا تنسونا من دعائكم

